

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٥)

(أ) الدنيا مزرعة للآخرة

(ب) من معاني
فاتحة الكتاب

العارف بالله

مولانا

فضيلة الشيخ / ماهر اسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه

وجزاه عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي الموحد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصتهم التوفيق
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات
ولكنها لم تنشر إلي الآن سيعجب أخي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله ويقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء •

لكل شئ ساعة ميلاد

وكانت ساعة الميلاد حينما تلقى أخ مؤمن (شريط الكاسيت) ليستمع إلى درس الشيخ فبهرتة عباراته ، ووصلت إلى قلبه كلماته • هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عبادة كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم • فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر • وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها • فأنوار الكواكب تهدي إلى الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلى الله •^(١)

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطبيب إلى ما استمع نسي وقته فسهر ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال (رب مبلغ أوعى من سامع) • هدايني وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة (عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)
صدق الله العظيم •

رجاء و اعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تسمع إلينا بأذنك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،
حتى قيض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل . ونحن بدورنا
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من
السماء بنشر هذا العلم الجليل .

هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين
من ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه بين
أيديهم .

نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ،
وتفاوت مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها . ، بل وكانت

الأسئلة أحياناً تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج
عن الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي (السهيكل
العام للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم
نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان
قد إستمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من
يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل الملهم . لما حذفت
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته
نوراً وإخلاصاً فمعذرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعنا
ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما
أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان
التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير
ذلك نقول لأخي القارئ (فاصفح الصفح الجميل) .
وما توفيقنا إلا بالله

أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة
من هذه الكتيبات ألا نقف بهذا العلم عند القراءة
وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .
والله ولي التوفيق ،،،

الدنيا مزرعة للآخرة

من المعاني التي يدور حولها الدرس

- ١- قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)
الآية الكريمة المذكورة تحث المؤمنين على أن يتنبهوا ويستيقظوا دائما ليكثروا من رصيد الآخرة .
- ٢- حينما قال الحق : (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)
لم يكن ليشجعهم على الاستزادة منها كي لا يتعارض مع قوله سبحانه وتعالى (بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)
و إنما المعنى المراد أن يحولوا ما في دنياهم إلى رصيد لهم يسبقهم إلى الدار الآخرة .
- ٣- إذا ما قارنا بين نعيم الدنيا ، ونعيم الآخرة . علمنا أن نعيم الدنيا فان أما نعيم الآخرة فهو باق : فما بالناس نؤثر دائما الفاني على الباقي .
- ٤- كي ينجح المؤمن في مسعاه في الدنيا عليه أن يضع نصب عينيه قول الحق : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ . وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

٥- طاعة الله دليل قوي على الخوف من الله • وبدون طاعة
لن يكون هناك خوف •

٦- إيثار غير الإنسان على نفسه دليل قوى على تمكن
الإيمان من قلب صاحبه : (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ
مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا • إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ
لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) •

٧- لما كان الشاء على الله لا يمكن أن يحيط به بشر علمنا
الله سبحانه وتعالى صيغة نحمده بها جميعا يستوى في
ذلك عالم الناس وجاهلهم وضعيف الإيمان وقويه ،
ولعجز العبد عن حمد ربه حمد الحق سبحانه نفسه
بنفسه وكلف العباد بحمده •

٨- الآخرة عند المؤمن ما هي إلا امتداد لهذه الحياة لكن
الحياة الأخرى أرقى وأعظم ومن الأسف أن جانب
تصديقنا بالآخرة ضعيف ، كما أن تصديقنا بالآخرة
إجمالي ونحن أشد حاجة إلى التصديق التفصيلي •

٩- الله يقول : (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**) إذاً فالغاية المطلوبة منها أن يرتفع بهذه الصلاة حتى يكون في الأرض بيدنه وفي السماء بقلبه وروحه .

الدنيا مزرعة للآخرة

إن الحمد لله - نحمده ونستعينه ، ونصلي ونسلم على من
أرسله ربه رحمة للعالمين •

قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) تعرضنا للآية
الكريمة مراراً • وقلنا إن الآية الكريمة تحث المؤمنين على أن
يتقظوا دائماً ، ويفتحوا أعينهم وقلوبهم على أن يكثرُوا
من رصيد الآخرة وأن يجعلوا هذه الحياة الدنيا التي يعيشون
فيها مطية ومنطلقاً للآخرة • (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)
الحق ينبه عباده فيقول لهم يا عبادي خلقتكم في الدنيا
لتعبدوني ولتدركوا أن هذه الحياة التي تحبونها في دياركم
هناك حياة أخرى أعظم من هذه الحياة • قد يعيش المرء منعماً
هنا في دنياه ، لكن المؤمن سيعيش النعيم الحق في آخراه ،
لأن نعيم الدنيا فان ، ونعيم الآخرة باق ، ولأن النعيم هنا •
وإن اتفقت الأسماء إلا أن نعيم الآخرة كما وضحه سيد الخلق
صلى الله عليه وسلم في قوله : (فِيهَا مَا لَا عَيْن رَأَتْ وَلَا أَذُن

سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) . فيها هيا للعمل للآخرة .
وعلينا أن نسخر كل طاقاتنا وإمكاناتنا للعمل للآخرة ،
وحيثُ سيكون مآلنا رضا الحق عنا : وقد جانب الصواب
من تصوّر أن الله سبحانه يُذكر عبده بالدنيا فلا ينسى أن
يتمتع بها لأن هذا يتعارض مع قول الله عز وجل (بَلْ
تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) فما في الدنيا
بحكم تكويننا البشري يشدنا إليها . والحق لا يريد منا هذا
ولقد بين الشيخ [رحمه الله] بأن الإنسان لا يميز بين الغث
والثمين إلا إذا فاضل وقارن بينهما . وضرب المثل لهذا
فقال : لو ذهبت إلى فاكهي وعرض عليك فاكهة بمبلغ زهيد
ثم عرض عليك الأخرى بمبلغ كثير . وقال لك : لجودة هذه
الفاكهة رفعت ثمنها ، ولعدم الجودة في الفاكهة الأخرى
جعلت الثمن قليلا . من غير شك سيفضل الإنسان أن يدفع
القيمة الكبيرة ، لأن المقابل أرقى وأعظم ، ولنقيس الآخرة
على هذا ، كي تقوي عزائمنا ، وليشتد الإقبال على الآخرة :
والدنيا ظل للآخرة . وما دام الظل موجودا فلا بد أن يوجد
المقابل وهو الثابت ثم ضرب مثلا آخر فقال لو أن لك زميلا

ذهب إلى بعثة ما وشاهدت بعد حضوره من البعثة . رغباء
في حياته ورفاهية ، لأنه اشترى سيارة أنيقة وبني منزلاً فخماً .
عند المقارنة بين الحالتين يجعل الإنسان يقبل على المقابل ، لأنه
أدرك الفرق الكبير بين الحياتين (قُلْ مَتَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) وكانت حياة الآخرة أفضل
وأعظم ، لأنها خالية من المنغصات والمكدرات . وضرب
مثلاً آخر فقال . لو أن لك زميلاً حصل على الدكتوراه من
الخارج : أي الزميلين يكون أكثر احتراماً وتقديراً لدى
الاجتمع ؟ لا شك أن الحاصل على درجة الدكتوراه أفضل
وأعظم . ثم أنظر إلى مستقبلهما عندما يبلغا سن الإحالة إلى
المعاش أيهما يكون أكثر مستوى مالي ؟ لا شك أنه صاحب
الدرجة العلمية الكبيرة . وقس على هذا عمل المؤمنين في
الدنيا ، وما أعده لهم الله من الجزاء في الآخرة فكل على
قدر عمله وجده . ولن يفوز المؤمن إلا بالعمل الصالح وهو
رعيده الذي سينفعه . أما ما حصل عليه في الدنيا من
جاه وسلطان ، وفكر وثقافة فمصييره الزوال والفناء وهذا
معنى قول الحق : (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) والمطلوب

من المؤمن كي يرحل من دنياه إلى آخرته عليه أن يعيش في قول الحق : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ونفس الإنسان هي مطيته : إذا شغلها بالحق صرفها عن هواها : الخوف الحقيقي أن تطيع الله سبحانه وتعالى : فإذا لم تكن طاعة لن يكون هناك خوف . (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) ثم انظروا معي إلى مقام الربوبية في توحيده ، وفي صفاته - و كذا مقام الربوبية في الجزاء لأن من عرف مقام الربوبية في الحالتين ، فإنه من غير شك سيسرع إلى الطاعات لينال رضا ربه . فعلامة الخوف أن يحرص على ألا يفعل شيئاً يغضب المخيف ، والخوف عبارة عن توقع مكروه . والحزن تأسف على مفقود . (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا . وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) وفي قول الحق ما يشير إلى هذه المعاني التي يتميز بها المؤمنون . فقال وقوله الحق : (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفاً من العذاب ، ورجاء في الرحمة : فالمسلم إذا ما شغل النفس بما يرضى الحق . فإنه يكون بهذا قد نهاها عن هواها . وجهاز الفجور

والتقوى إذا ترك إعمالهما لن يسيطرا على النفس • أما
عند الخوف من الله ، وباستعمال الإلهامين يكون المؤمن
بهذا قد حجم نفسه ، وأمسك بزمامها وتملكها : ولذلك
كان في المقابل (فَأَمَّا مَنْ طَغَى • وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) بمعنى أن
يتركها بلا ضوابط تحكمها والطغيان تجاوز الحد وترك النفس
على هواها (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)
هذا ولقد ضرب الشيخ أمثلة كثيرة للطغيان وتجاوز الحد
وأستغرق فهم هذه الآية زمنا طويلا مما أضطره رحمة الله
للإعادة والتكرار • ومن الأمثلة التي تعرض لها : مثال يقع
للكثير من الناس فيه : لذا أحببنا أن نورده هنا حتى نكون على
حذر منه لعظم الذنب الذي يجنيه الإنسان من ارتكابه :
(اثنتان الناس بهما في كفر • الطعن في النسب ، والنياحة
على الميت) ثم وجه أحد المستمعين سؤالا • ما رأيك
يا مولانا فيمن ضرب والده ؟ فقال الشيخ رضي الله عنه :
هذا المثال أشد شناعة وقبحاً مما ذكرنا وأحب أن أوضح
لكم • أن من يفعل هذا مع والده محال أن يكون هذا الابن
العاق ولد حلال ، لأنه يستحيل أن يضرب الإنسان نفسه •

والولد جزء من أبة • وحتى لا نذهب بعيدا أقول إن والده قد
أستفد مرات الطلاق مع زوجته [أحيينا أن ننقل لمحة سريعة
وصورة حيه عن الدرس لنشتد شوقاً إليه] - ولذلك طلب
الحاضرون إعادة المثال الأول • وقالوا نرجو الإعادة لأننا
جميعاً نقع في هذا الممنوع من الذنوب - فإذا ما قال شخص
لآخر إنك ابن حرام فمعنى هذا أنه حطمه بل قتله • ومعنى
هذا أنه لا يصبح كافرا بل المقصود أن هذا عمل الكفار • وما
أشبه هذا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه (كل
بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) ولم يقل الرسول عليه
الصلاة والسلام : كل مضل في النار والمعنى أن هذا من
الأعمال التي تؤدي إلى النار : ومن هذا يتضح لنا دقة التعبير
في أحاديث سيد الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد صدق الحق في قوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَى) أي فهذه الأعمال لا تقع إلا من الكفار • وفي
هذا الأسلوب من التفسير ما فيه • ولذلك قال الشيخ إن
الخوف من الله يجعل المؤمن أكثر حياء منه • ثم قال بأعلى
صوته • أين نحن من قول الله عز وجل (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

مَنْ أَبْصَرَهُمْ وَيَحْفَظُوا فَرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ) لو خفت من الله لترك ما نهاك عنه . لو
خفت من الله وسمعت الآذان . الله أكبر ، الله أكبر ، لترك
المقهى وتركت لعبك الطاولة ، وأسرعت إلى المسجد لتؤدي
ما عليك من صلاة . لو خفت من الله لترك الأنس مع
الزوجة والأولاد وهرولت إلى المسجد - لو خفت الله لما
سمعت وسوسة الشيطان والنفس . وقلت نصلي بعد أن
نأخذ حظنا من لعب الطاولة والأنس بالأصدقاء . ثم تذهب
إلى بيتك لتقول لك زوجتك العشاء مُعَدّ ، وقد هيأت
الأخرى نفسها لتشذك إليها وتقع أيها المسكين وسط
إغراءات متعددة من النفس والشيطان . وكل ما يحول بينك
وبين التلبية لنداء الحق . وأساس التقوى والطاعة هو
في استعمال الهام التقوى و الفجور كما قلنا و المدار كله
علي توفيق الله لعبده . فقد يدخل الإنسان الطاعة بالهام
التقوى فيسرع الهام الفجور يتغلب علي الهام التقوى .
و توضيح هذا . أن يدخل الإنسان في الصلاة بنية طيبة ،
و عزيمة صادقة ، و سرعان ما ينتابه الغرور ، و يشعر

بنشوة العبادة ، و ينسب هذا التوفيق إلى نفسه ، ولو لا عناية
الله سبحانه . لتغلب عليه عنصر الغرور ، و يتراجع إلهام
التقوى أمام إلهام الفجور، و مثل هذا العبد جانبه التوفيق ،
و ابتعدت عنه رعاية السماء . ثم ضرب الشيخ (رحمة الله)

مثلاً لصنف طاهر نظيف . وقاه الله شر نفسه حتى أصبحت
نفسه لا تحدثه إلا بخير فقال : (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ
حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا • إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ
لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا • إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
قَمْطَرِيرًا • فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ • وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا • وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) وفسر الشيخ قول
الله (عَلَيَّ حَبِّهِ) ضرب مثلاً لذلك بقوله أنا أعددت لنفسي
كوبا من الشاي • وعندما حضر المسكين لم أجد عندي ما
يكفي لأن أقدم له كوبا آخر فاقسمت الكوب الذي كنت
أعددتة لنفسي ، واكتفيت بنصف الكوب • أعددت للمرل
دجاجة ، ولم أمتلك غيرها ، فلما حضر اليتيم أو المسكين
أقسمتها معه • وهكذا حياة هذا الصنف من المؤمنين • وهذا
معنى قول الله في آية أخرى : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خَصَاصَةٌ) و قول الحق (عَلَيَّ حَبِّهِ) تشعرونا بأنهم

محتاجون الية : وليس من السهولة بمكان ان يتنازل الانسان
عن شيء يحبه لان ذلك يخالف طبيعة تكويننا البشري .
فالتبيعة البشرية تفضل الأخذ قبل العطاء . وكلمة
(**يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ**) تأخذ معاني كثيرة منها : القوة ، جبر
النقص وذلك مثل قول الحق : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** . **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا**)
أي " يجبرون نقصي " أو يقوونني لأن الله سبحانه غني عن
خلقه : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ**) ومعنى (**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) : إلا ليعرفوني لأن الله
يرضيه أن يطيعه عبده وأن يتذل له ، ويقدم الطاعة وهو
منكسر ، لأن الانكسار تاج العبودية وإذا لم يتذل العبد
إلى خالقه يفقد الإحساس بصفات الربوبية : هذا وذل
العبودية يقابل عز الربوبية ولعلكم تلاحظون دائما أن اسم
الجلالة إذا ما ذكر لا بد أن يذكر بعده من أسماء الله الحسنى ما
يتناسب مع صفاته . واعلموا أن القصور في معرفة الله هو عين
المعرفة . والذين ظلموا أنفسهم أنكروا على الحق صفاته
ولذلك قال الحق يبين هذا (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**)

ولو اعترف العبد بحق ربوبيته عليه سيجزيه ربه الجزاء
الأحسن في الدنيا والآخرة قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وفي قول الحق (وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ) إشارة إلى حبه البذل كما أن أي إنسان يمتلك
قدرًا من الطعام • فإذا لم يكن لديه طعام • وهذا بعيد : وأقل
ما يعفي المسلم هو أن يدعو الناس إلى البذل ولذا كان من
أسوأ الناس خلقا هو من قال الله في حقه (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ • فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ • وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ) فمن لم يكن عنده طعام فأمامه الفرصة سانحة وهي
الدعوة إلى البذل • فإذا لم يتحقق بهذا فقد بعد عن الله
عز وجل وباء بالخسران والعياذ بالله • وأقل ما يمكن تقديمه
ما دام لا يستطيع فالقليل يكفي ، والأعمال توزن عند الله
بالكيف لا بالكم • فإذا لم توجد عنده حاجة يقدمها •
فليقدم رغيف العيش • وأظن أن أي بيت لا يخلو من وجود
رغيف خبز فيه • ولو سألك سائل أين منزل فلان وجب
عليك أن تدله ، لأنك بهذا أكملت نقصه . فإذا انعدم كل

شيء إفشاء السلام : (السلام عليكم ورحمة الله ٣٠
ثلاثون حسنة) رأيتم إخواني كيف يسر الله لنا ولكم فتح
أبواب الخير الكثيرة ، لأنه الرحمن الرحيم ، وهو وحده اعلم
الناس بضعف عباده ، و احتياجهم إلى الكثير من رحماته ،
و انظروا رحمكم الله هذا المفهوم الجميل الذي تفضل الله به
سبحانه على شيخنا به في قوله تعالى (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حَبِّهِ) (التعبير بـ عَلَى) تفيد بأن المتصدق حبه واحتياجه
إلى المتصدق به يعلو حبه لهذا الشيء على المتصدق عليه
وفي هذا المفهوم لتوضيح الإيثار فيه ما فيه من البلاغة ،
و روعة التصوير للإيثار فلو كان التعبير (يحبون الطعام مع
حبه) لكان غير المعنى لتساوي الاثنين في هذا التعبير
و المسكين هو من سكن إليك لحاجته • ولا يشترط المال •
بل كل من احتاج إلى أمر ما فهو مسكين • واليتيم محتاج إلى
رحمة و عطف ولا ينظر إلى وضعه المادي • فلو كان غنياً
لاحتاج إلى من يعوضه فقد أيه و إذا كان فقيراً فعلياً ان
نعوضه وأن نحنو عليه فنمد إليه يد المساعدة فضلاً عن زيادة
الحنو عليه ، والأسير لا بد أن نعطيه حقه كإنسان محترم •

و معلوم أن كل شخص يبذل شيئاً صغيراً أم كبير ينتظر المقابل
عدا الحق سبحانه ، لأنه الغنى عن خلقه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) و الحق حينما
خلق الإنسان جعله بحكم تركيبه البشرى محتاج دائماً إلى
مقابل إما جزاء أو ثناء من الناس • والله سبحانه و تعالى بين
في الآية الكريمة أن لهم إرادة من هذا البذل • فهو سبحانه
لم ينف الإرادة • و لكن بين أن إرادة المتصدقين موجودة ،
لكن هذه الإرادة موجهة إلى الحق • وهم يشارهم الخير
يرجون رحمة الله • و ينتظرون رحماته ، لأنه و حده هو الذي
يتفضل برحماته على خلقه ، أما غير الله فلا يملك من الأمر
شيئاً .

ثم انتهت الآيات ببيان ما خصهم الله به من ثواب فقال :
(فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا . وَجَزَّاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) ثم رفع الشيخ يديه بالدعاء الاتي :
(اللهم اغفر لنا وارحمنا ، واهدنا ، اللهم اشفنا ، اللهم علمنا
ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا . متعنا بأسماعنا وقوتنا

ما أحييتنا واجعله الوارث منا . واجعل ثأرنا على
من ظلمنا ، ارزقنا اللهم علماً نافعاً وقلباً خاشعاً
وشفاء من كل داء ونوراً ساطعاً . اللهم إنا نسألك
إيماناً كاملاً : اللهم اغن فقرنا ، اللهم إنا نعوذ بك
من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع وشفاء من كل
داء . اللهم ارزقنا إيماناً كاملاً ، و يقيناً ثابتاً وشفاء من
كل داء ، واغفر لنا ولكم وللمسلمين والمسلمات
الاحياء منهم والأموات .

من معاني فاتحة الكتاب

بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، صلى وسلم على سيد
الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تكلمنا منذ
فترة طويلة عن فاتحة الكتاب وقلنا ما أفاض الله به علينا
وأنعم . واليوم نستكمل المسيرة لبيان ما في معنى هذه السورة
العظيمة من معان فياضة . ومهما تناول الباحثون والعلماء
الكلام فيها فإن ما يجود الله علينا به من علم . فهو قدر
يسير ، ويسير جدا مما تناولته السورة الكريمة لذلك لقبت
بـ " **فاتحة الكتاب** " تكلمنا بالأمس عنها . ونقصد بالأمس :
الأمس البعيد وقلنا بدأت بالثناء على الله . ولما كان الثناء على
الله لا يمكن أن يحيط به بشر علمنا الله سبحانه صيغة نحمده
بها جميعا يستوي في ذلك عالم الناس وجاهلهم وضعيف
الإيمان وقويه ، ولعجز العبد عن حمد ربه الحق سبحانه حمد
نفسه وكلف العبد بأن يردد حمد الله لنفسه . بمعنى التصديق
بهذا الحمد الذي عرفك به (الرحمن) : صفة يتجلى الله
بها على المؤمن والكافر - والحيوانات والطيور وكل موجود
فهو سبحانه رحمن الدنيا ، رحيم الآخرة ومعنى أنه سبحانه

رحيم الآخرة أن هذه الصفة مقصورة على المؤمنين • قولوا
بربكم ما مصلحة البهيمة في أن تربي وليدها وتحنو عليه ثم بعد
ذلك يستولي عليها البشر ويذبحونها • لولا صفة الرحمن ما
أرضعت البهيمة وليدها - فسبحانه سخر للإنسان كل
الحيوانات لينتفع بأصوافها وأوبارها وأشعارها (**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ • وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بِإِلَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ • وَالْخَيْلَ
وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وإذا
كان الله قد كرم الإنسان بخلقها له • فإن كرمه الأكبر يتضح
في أنه المخلوق الوحيد العاقل الذي أرسل إليه الرسل •
ولذلك حينما يعصى العبد ربه بعد هذا كله تقتضي عدالة
السماء أن يحاسبه حيث لم يصبح أهلا لتكريم الله له • (**ثُمَّ
أَوْثَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا • • • الْآيَةَ) كما
أن الله كرمك بالحياة الدنيا التي أتيت إليها ، فحياة الدنيا
كلها كانت غيبا بالنسبة لك لكنها تحققت بمعيشتك على
ظهر الأرض وكذا الحياة الآخرة هي الآن غيب • وستتحقق
يوما ما مثل تحقق الحياة الدنيا بآثارها • وتحقق الحياة الأخرى****

ستأخذها من شهد هذه الحياة؛ فالآخرة عند المؤمن ما هي إلا امتداد لهذه الحياة، لكن الحياة الآخرة أرقى وأعظم. ومن الأسف أن جانب تصديقنا بالآخرة ضعيف، كما أن تصديقنا عن الآخرة إنما هو تصديق إجمالي؛ لكننا في حاجة أشد إلى التصديق التفصيلي بكل أمور الآخرة لينمو الإيمان في قلوبنا، وترتفع درجة اليقين. كان من الممكن أن يأتي القرآن بقول الله: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" ولم يقتصر الكلام عن يوم الدين، ولم يقف بنا القرآن عند هذا فحسب؛ ولكن لم كان التفصيل عن الجنة؟ وما معنى قول الله: { غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ }؟

أقول والله أعلم: إن ما تتمتع به في هذه الغرفة يفوق التمتع في الغرفة التي تحتها، فالفوقية هنا معنوية، وليست الفوقية الحسية. ثم قرب هذا المفهوم بأن ضرب مثلاً وقال: "عندما يحتاج الإنسان الإنسان إلى الطعام، أي الغرف أحب إليه؟" قال المستمعون: "غرفة السفرة". قال الشيخ: "ثم إذا أراد أن يستريح الإنسان، أية غرفة تكون أحب إليه بعد هذا؟" قالوا: "غرفة النوم". وربما يعطينا هذا المفهوم معنى جديداً. ثم إذا أراد الإنسان أن يتوضأ للصلاة، تكون دورة المياه هي أغلى الغرف.

قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه (ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء) • لو سلكت الطريق دخلت الجنة وأنت هنا في الدنيا • ومعنى ذلك أن المؤمن لو عاش في عين اليقين لكان أقرب الناس إلى الغيب • أما حينما يدخل الجنة إن شاء الله ، يصبح في حق اليقين بالممارسة • وهذا معنى قول الصالحين : لو كشف عني الغطاء ما أزددت يقينا لأنه يعيش في رتبة عين اليقين • ومصادقا لهذا قول الحق (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ • يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) والأبرار جمع بر وهو الذي يفعل دائما أعمال الخير ، وفي قول الله عز وجل في شأن الكفار (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) دليل على أن الأبرار هنا حياتهم كحياة أصحاب الجنة • وإن شئت قلت هم في الدنيا يعيشون في جنة الرضا • والجنة عند المؤمنين ليست مقصودة لذاتها • لكن لأنها محل رضوان الله عز وجل : وفي قول الله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) هذه العبادة لا تكفي أن تدخلني الجنة وتجعلني في مقام الرضا إذا فلا بد من الاستعانة بالله سبحانه كي يقبلها ، لأن العبادة التي أعبدتها صادرة من مخلوق • وكل ما صدر

من ناقص فهو ناقص . لكن الحق يتجلى على عبده بالعطاء .
هذا العطاء الذي حصل عليه بعد الاستعانة بخالقة يجعله
مقبولا عند الله فيكافى العبد عليه بالثواب والنعيم المقيم في
الآخرة . الناس كلهم عبيد لله . وهذه هي العبودية العامة
أما العبودية الخاصة وهى عبودية الاختيار فالحق سبحانه
وتعالى هو الذي رسم لهم الطريق ورزقهم المنهج ، وهداهم
إلى صراطه المستقيم ، لذا كانوا محل رعاية الله وعنايته
واستحقوا بهذا أن يمن عليهم بهدايتهم إلى صراطه
المستقيم . وما أشبه الفرق بين العبوديتين . بيت الله هنا وهو
المسجد ، وبيت الله الحرام في مكة . وأنظر رحمك الله إلى
الفرق في الصلاة من حيث الثواب الذى يحصل عليه العبد
هنا ، والثواب الذي يحصل عليه في البيت الحرام . وأحب أن
أبين وأوضح : من الذي يستحق الـ ١٠ عشرة آلاف درجة
إذا ما صلاها في المسجد الحرام : لا يحصل على هذه الدرجة
أي مسلم إلا إذا أدى الصلاة بمفهوم سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحيث يرتفع مستوى الأداء في الخشوع كما
يجب الله ورسوله : لا هذه الصلاة التي تؤديها .

نحن نؤديها بجوارحنا ونحن ساهون لاهون : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ •
 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ • الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ •
 وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) ولذلك قال الحق (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)
 لم يقل سبحانه صلوا لتذكروني : ولن ينطبق على الصلاة أنها
 صلاة إلا إذا أقيمت مستوفاة الأركان ، مكتملة الخشوع ،
 ناهية عن الفحشاء والمنكر الذي هو ثمرتها وكما يقول
 الشيخ (رضي الله عنه ورحمه) إن الفحشاء والمنكر ، لا حدود
 له بمعنى أن كل ما نهى الله عنه هو فحشاء أو منكر قولاً
 كان أم عملاً . والتعبير بـ " أَقِمِ " أي أرتفع بهذه الصلاة
 حتى تكون في الأرض بيدك ، وفي السماء بقلبك وروحك ،
 أو تقول أقمها هنا في عالم الشهادة لتصل بها إلى عالم
 الملكوت . فلا قيمة لصلاة تقع في عالم الملك ، فلا تنهض أن
 تقع في عالم الملكوت ، كأن العبد يقيمها بقلبه بين يدي خالقه
 سبحانه وائل الدرجات أن تذكرك الصلاة بقول الله (وَهُوَ
 مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) فإذا لم يعيش بالمعية وهو غير متصل . فلا
 يصح أن تخلو الصلاة دون أن يشعر أنه في معية خالقه . علينا
 أن نحاول ونحن في الصلاة أن نحصل على الحد الأدنى من

الخشوع والاطمئنان • ويذكر بعض الصحابة أن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات كان يقرأ أحياناً بالبقرة ، ثم يسبح في الركوع والسجود أحد عشرة تسبيحه • الرسول في صلاته كان يخرج من الكون إلى المكوّن فهو مع ربه • لذلك كان يحصل على الأنس كل الأنس في الصلاة • وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام " **أَرْحَنًا بِهَا** " أما نحن فحالنا يقول " أرحنا من الصلاة " بمعنى أن ندخل فيها لتخلص منها ، لأن أماننا من مطالب الدنيا ما هو أهم من صلاتنا ، قولوا لي بربكم أليس هذا واقعنا ، وتلك حالتنا ، ثم نقول نحن الحمد لله نصلي ، لهذا الوهم الذي نعيش فيه نحن نجني القلق ، ونجني ونتجرع الآلام • وأصبحت الحياة كلها أنكاداً في أنكاد ، و لو أثمرت الصلاة لتغير الحال • فكان الأمن والأمان ، وكان الرضا والاطمئنان (**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) صدق الله العظيم •

قلت وأقول : إننا مطالبون بأن نعمل الحد الأدنى في الصلاة بالنسبة لصلاة خواص المؤمنين ، أقل التسبيحات

٣ ثلاث تسيحات ، وأن يقف مؤدبا بين يدي خالقة ، بحيث
يسيطر عليه جلال الموقف • ونحب أن نستحضر أمامنا قول
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس لكم من صلاتك
إلا بمقدار ما عقل منها) (العبودية الخاصة يتدرج فيها
المؤمن ، وليس من صالح العبد أن يفيض الله عليه الإيمان
واليقين دفعة واحدة) ف سبحانه من رب عليم حكيم يُسَرِّ
كل ما في الكون وفق علمه ومشئته ، الحق لو تجلى على عبده
بداية بآخر مقام قدره له لن يتحمل ذلك حتى يحصل التوازن
ولذلك ترى أناساً مجاذباً ، لأن التجلي زاد عليهم قليلاً فلم
يتحملوا ، على المؤمن أن يتخذ العبودية شعاره • ولتكن
نظرة المؤمن إلى الدنيا نظرة ازدراء : فلا يهتم بها إلا
بمقدار ما يتزود منها لآخرته • والحصول على مطالبه الدنيوية
بحيث يحصل على الأمور الضرورية التي تغنيه وتغني أولاده
عن السؤال • ولذلك لو حصل المؤمن على مليون جنيه لن
يستفيد من هذه الأموال الطائلة إلا بمقدار ما ينتفع منها كما
بين الحديث الشريف ما معناه " مسكين ابن آدم يقول مالي
مالي : وهل لكم مال إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست

فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت " .

فالزهد واقع وحاصل في الدنيا بدليل إذا أراد الإنسان أن يجلس سيجلس على كرسي واحد ، وإذا نام فعلى سرير واحد ، إنما يدعوك الله لتستجيب له وتعطي ظهرك لمن سواه ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) هذه الاستجابة ستعطي ظهرك تلقائيا لمن سواه . و كل ما يبعدك عن الله فهو حجاب ، سواء أكان وظيفة أو مالا أو سلطة ، أو تجارة تشغلك . و لذلك نبه الله كل المخلوقين بقوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) و معنى هذا ان الله يريد ان يوضح مدى استعداد المخلوقين للاشتغال بغيره . و لقد بين الله سبحانه وتعالى أن حب الدنيا عند الكثرة الكثيرة من الناس بدليل قوله تعالى (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) فالعتاب من الله ليس على حب الدنيا لان الحياة فيها و بها و لكن اللوم الذي يوجهه إنما وجه لا لحب الدنيا . و لكن وجه إلى كل من اضر بآخرته ، و أثر الدنيا عليها (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) ، هنا تكون الملامة ، لان الدنيا ممتدة إلى الآخرة ، لو لم تكن آخره لما كانت دنيا ،

و الأصل و الأساس الآخرة لأن سيدنا آدم عليه السلام سكن
الجنة أولاً ، ثم نزل منها إلى الدنيا ، و نحن أوشكنا على
نهاية الحديث لا يسعنا إلا أن نمد يد الضراعة إلى الله
بأن يكون الحق قبلتنا ، و التوحيد غايتنا و حب الله أسمى
أمانينا ، سبحانك اللهم و بحمدك نشهد ألا اله إلا أنت
نستغفرك و نتوب إليك •

١٢ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ

٢١ إبريل ٢٠٠٥